لغة عالمية

ضرورة لاتحاد الأمم

أشرنا في العدد الماضي من المقتطف الى لغة عالمية كوسيلة من وسائل اتحاد الامم في أمة واحدة تحت سيطرة حكومة واحدة . فيحسن بنا أن نذكر شيئاً من فضائل اللغة العالمية

ان اللغة العالمية صارت ضرورة حتمية لجميع الامم ، لان سطح الارض كله أصبح بلداً واحداً ، بل أضيق جداً من بلد واحد ، إذ صار يمكن الطرف الواحد من هذا البلد العالمي يعرف حوادث الطرف الآخر في بعض الساعة ، بل صار يمكنه أن يتصل بالطرف الآخر في نفس اللحظة . أصبح طرفا الكرة الارضية أقرب أحدهما الى الآخر من مصر وأوروبا . إذاً كيف يتسنى لاهلهما أن يتفاهموا اذا كانت لغة الشمال غريبة جداً عن لغة الجنوب ، ولغة الغرب أغرب جداً عن لغة الشرق ؟ بل كيف يتمكنهم أن يتفاهموا اذا كانت لغاتهم تعد أكثر من ألفي لغة ؟ هل كان بُناة برج بابل حين بلبل الله ألسنتهم أسوأ تفاهماً من سكان الشمال والجنوب ؟

ان انسان هذا العصر اذا لم يحسن الكلام والكتابة بضع لغات رئيسية يبقى كأنه في بابل ، لا يستطيع أن يبعد عن بلده أكثر من مسير قافلة لئلا يصطدم بقوم لا يفهمهم . ولكي يستطيع أن يحسن الكلام بلغة أو لغتين أو ثلاث غير لغته يجب أن يضيع نصف العمر فضلاً عن المجهود العقلي من حياته عبثاً . لا حاجة به للغة أجنبية لولا أنه مضطر للتقرب أو للتعامل مع أمم غريبة ، وأما الآن وهو في بيته يرى نفسه كأنه متغرب إذ يسمع الراديو بلغات مختلفة ، ويرى مطبوعات بلغات مختلفة قد لا يفهمها .

ان تحصيل لغة أو لغتين أو ثلاثاً يستنفد من أدمغة فتياننا في معاهد العلم نصف قواهم العقلية ، وهو ما يحتاجون اليه في تحصيل العلوم والفنون العملية والنظرية اللازمة للمعايش ، وهي كثيرة في هذا الوقت جداً ، وستكون في المستقبل القريب أكثر وأكثر . فلماذا يضاع نصف مجهود الفتى والفتاة العقلي فيما لا لزوم له لو كان للعالم لغة واحدة عالمية ؟ ان دارس الطب عندنا يجب أن يعرف الانكليزية والافرنسية على الاقل (وربما الالمانية أيضاً) ما عدا لغة أمه . أليس هذا ضياعاً للزمن والمجهود جزافاً ؟ أليس حراماً ؟

لو كان للعالم لغة واحدة عملية سهلة لاستغنى بها عن هذا الاعتناء العقلي في تحصيل اللغات الاجنبية إذ يمكنه ان يستغني بها وحدها ، حتى عن لغته . واذا تمت أمنية العالم

بلغة عالمية واحدة فقد تتلاشى اللغات القومية رويداً من تلقاء نفسها كما تلاشت اللاتينية والآرامية وغيرهما من اللغات القديمة ، إذ يستغني الناس عنها بالتخاطب فيما بينهم بلغة العالم العامة التي تكون أسهل مراساً وأقرب الى التلفظ والنفس واللسان والأذن كما تتصورها بالغة حدٌّ الكمال . ولا بأس أن تصبح بعض اللغات القومية أو معظمها في متحف اللغة مقصورة على حفظ العقائد الدينية والأسفار المقدسة ، وتبقى حيّاً في الفنون الأدبية الممتازة من شعر ونثر ونحوهما .

وليس ما نحن أن نترجم هذه الى اللغة العالمية . ولا يظنّ ظانٌّ أن اللغة العالمية المقترحة لا تصلح للشعر . هذا ظنٌّ خاطئ . بل تكون أصلح من اللغات القومية التي تتطوّر حيناً بعد حين حتى يبعد فرعها عن أصلها وجديدها عن قديمها . ثمّ لا يصعب عليك أن تفهم شعرها المترجم عن القديم حتى نثرها بل رنّتها الموسيقية على تعادي الزمن . أما لغة العالم فلا ينقصها شيء من تأدية الروح الشعرية إلاّ بعض البديع الصناعي كالتورية والجناس ونحوهما مما لا حاجة كثيرة له لتحلية الشعر والموسيقى . زد على ذلك إنها تكون خالية وقليلة التطوّر وعديمة التفرّع كما كانت اللغات القديمة . ماذا يمنعك ان تنظم بلغة الاسبيرنتو أو الفولابك مثلاً هذا الشعر .

تعجبين من سقمي صحتي هي العجبُ

لأن هذا المعنى خلوٌّ من التلاعب اللفظي — التلاعب كقولك :

فقل لقتيل الحب وفيت حقه وللمدعي هيهات ما الكحل الكحلُ

وماذا يمنعك أن تنظم هذا البيت بالاسبيرنتو : —

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسام

وهو لا يحتاج إلاّ الالفاظ المؤدية هذه المعاني ، إذ لا صناعة لغطية فيه فلا تتعذر إلاّ لرجحة الاستعارة والتشبيه كقول ابن معتزق :

صفرت فبرقعها حجاب جمال وصحت فرنّحها سلاف دلال

ومع ذلك اعتقد أنه لا تتعذر صياغة هذا المعنى بلغة العالم إذا حاوله أهل الأدب .

فاستنباط لغة علمية وشعرية طبق حاجة العالم إليها بقواعد على قدر ما يستلزمه حسن التعبير من غير التباس أو تعقيد ، يجد في جمهور الأمم ترحيباً عظيماً تدق له طبول الفرح والبشائر ، ولا سيما إذا كانت الأقوام حرة في الحرص على لغاتها القومية التي تتعصب لها .

بقي أمر انتقاء اللغة العالمية من اللغات العائشة الآن والمنتشرة ، فهو من الصعوبة بمكان كبير لسببين : الأول أنه يثير الحسد بين الأقوام ، لأن كل قوم متعصب للغته

فيصعب عليه أن تحل لغة قوم آخرين محل لغته . ولكن إذا بقيت لكل قوم لغته الى جنب اللغة الاضافية التي نقترحها .

الثاني ما من لغة مهما كانت منتشرة الآن نجدها يعوزها التنقيح الكثير لتسهيلها ، مثال ذلك : اللغة الانكليزية الواسعة الانتشار ، لا بد من مسخها كلية لتبسيطها وجعلها أقرب منالاً حتى ولو بعدت عن أصلها بعداً كلياً . فاذا كان الامر كذلك فالالتجاء الى لغة مصطنعة كالاسبرنتو أسهل منالاً لانها تقضي لبانة العالم بأسهل طريق ، وهي قد وُضعت لغرض تسهيل التعبير فيها . فألفاظها منتقاة من أوسع لغات أوربا انتشاراً . وقد وضعت لنحوها قواعد بسيطة خالية من الشواذ والتعقيد بناتاه بحيث يمكنك أن تحفظها في بضعة أيام وأنت آمن الالتباس فيها .

لقد اختبرنا جيداً ألفاظ اللغات التي تعلمناها وتكلمناها وفهمنا عيوبها الكثيرة فيمكننا اجتنابها في اصطناع اللغة العالمية :

أولاً : يجب أن تكون الألفاظ العالمية خلواً من كل سبب للالتباس والابهام بحيث يفهم كل من يعرفها كل ما يقال فيها مهما بعدت لغته القومية عنها .

ثانياً : أن تكون سهلة النطق ولا يتغير فيها شيء في حالة التصريف مع الزمان والمكان والضمائر الخ .

ثالثاً : يجب أن يكون لكل لفظة معنى واحد ، ولكل معنى لفظ واحد خاص به ، ولا يكون فيها ترادف على الاطلاق فيزول من الالتباس والغموض . وإذا كان هناك معنيان متقاربان فلا ضرورة لوضع كلمة لكل معنى ، كما أن في لغتنا الكأس إذا كانت ملآنة والقدح إذا كان فارغاً فلكي لا نقسم معجمنا بألوف الكلمات نجعل لكل معنى من هذين كلمة مزدوجة فنقول كأس ملأى ، وكأس فارغة ، فنطرح من ذاكرتنا لفظة قدح ونلغيها من القاموس . قد تقول : ان البلاغة تستلزم الاقتصاد اللفظي أي أن نعبر عن المعنى الواحد بأقل لفظ ممكن . وأنا أقول ان الفصاحة تستلزم الاقتصاد في المجهود العقلي بحيث لا نحمل الذاكرة ألفاظاً يستغنى عنها بالكرم اللفظي . الايضاح العملي يضحي بالاقتصاد في الكلم لأجل تخفيف العناء عن الذاكرة . ألأجل خاطر البلاغة اللفظية تسطر في أن أحفظ في ذهني كلمتي كأس وقدح ، وعندي كلتا يداه وفارغ استعملهما مع عشرات الكلمات للتفصيل بين معنى ومعنى بلفظ واحد لكل منهما كالكأس والقدح .

ومثل أن أقول شقّه أو خرقه أو ذبحه أو صرعه أو نحو ذلك ، أقول أمامه بالطبل ، أو بالكبير ، أو بالمسدس ، أو بالقلم ، فأطرح من القاموس أفعال شق وخرق وذبح وصرع

وقس أيضاً ما شئت الجبر والكفين والمدس وغيرها تشملها مع كلمات أخرى .

وإذا قيد لكل كلمة معنى واحد فلا أقول تارةً بأن إذا ظهر وأخرى بأن إذا غاب. أقول ظهر فقط وغاب فقط فلا يقتضي على المعنى . ولماذا أقول سأل إذا كنت لا أعلم ماذا أعني أأستشير أم أستفتي ؟ ولماذا أقول حكى إذا كنت لا أعلم هل أعني تكلم أو شابه . فاذا اعتبرنا كل لفظ بمعنى واحد وكل معنى بلفظ واحد ، زال الالتباس على الاطلاق .

يمكن اختصار لغاتنا بالاشتقاق كما هو الحال بلغتنا العربية . فان الاشتقاق فيها يغني لا محالة لغة أخرى الا قليلاً . فعندنا مثلاً كتب وكاتب وتكاتبا واستكتب وانكتب ، خمسة معان مختلفة من مادة واحدة ، تحولت من معنى الى معنى بهذا الاشتقاق الذي يمكن أن يستعمل قياسيًّا لكل فعل أو لأكثر الأفعال حسب المقتضى فيوفر كثيراً من عناء حفظ الكلمات . يكفي أن تعرف فعل كتب فتعرف بقية الافعال من تلقاء نفسك قياساً على هذه الأفعال .

أقول لعل سائلاً يسأل فهذه ليست بالعقدة الصعبة إذا كان يمكن لكل متعلم صوت النطق الخاص بها أن يعرف الدال عليه . وأظن أن العربية تمتاز على كثير من اللغات بهذا الأمر . ولكن في أكثر اللغات الأخرى ولا سيما الانكليزية لا تعرف أن تنطق بكلمة إلا إذا سمعتها من أستاذك ، أو من والديك ، أو من مواطنيك ، لأن معظم كلماتها تكتب خلاف ما تنطق . ولهذا تجد في معجماتها كل كلمة متبوعة بتهجئة لفظها . وهذا من الغرابة بمكان . أما كفاك عناء أنك لا تحفظ في ذهنك معناها فقط ، بل يجب أن تحفظ أيضاً كيفية لفظها وكيفية تهجئتها ، أي كتابتها ، فكأنك تدرس هذه اللغة ثلاث دراسات .

يحسن أيضاً اهمال الحروف الصعبة اللفظ عند كثير من الأقوام كالثين والغين والحاء والظاء . ونحن في لغات أخرى أيضاً ألفاظاً يتعذر النطق بها . يجب أن تحوي اللغة الأصوات السهلة أو السهلة على اللسان . وهذا الأمر يقتضي دراسة واسعة شاملة .

فأي تصريف للفعل فهذه عقدة إذا كانت بعض الألفاظ تحتوي على أحرف علة كالواو والياء والألف وعلى الإمالة منها أيضاً ولا أدري اذا كانت يستغنى عنها . وهي التي تجعل التصريف صعباً بتعب التذكير والتأنيث للعاقلين وغيرهم

المفرد والجمع فقط ولا تثنية . ويجب أن يكون للجمع علامة ملحقة بالمفرد ولا يكون بتكسير كما في كتف وعقرب وحديد وحسنة . يجب أن يصطلح على وضع النعت وضعاً واحداً إما قبل المنعوت أو بعده . والأصح منطقياً أن يوضع بعده كما في لغتنا

لا يكفي ترتيب الكلمات لمعرفة الفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر . بل لا بدَّ من علامة

لكل منها دفعاً للالتباس . فهو معلوم أن قولك ضرب زيد عمرو لا تفيد من هو الضارب أو المضروب . ولكن إذا فتحت المضروب وضممت الضارب فلا يعود يهم إن كان هذا سابقاً ذاك أو لاحقه .

ولا أتمادى في هذا البحث لأني لست لغويًّا وإنما اللغات التي اصطُنِعت اصطناعاً (ويقال إنها بلغت ٣٠٠ لغة) للغرض الذي نحن فيه قد اجتلبت فيها جميع المشكلات الصرفية والنحوية ووضعت على قواعد بسيطة لا شذوذ فيها . وروعي فيها كل ما يستلزمه نقاء التعبير وفصاحته وسلامته من الالتباس والابهام . ويقال إن لغة الاسبرنتو هي أفضل ما وضع للتخاطب . ومع ذلك لا بأس من عقد مؤتمر لإعادة النظر فيها وتنقيحها .

والذي أراه أن اللغة العالمية التي يُتَّفق عليها تكون خالدة أو على الأقل لا يطرأ عليها تطوُّر كبير المهمّ إلاّ إضافة كلمات تستجد بمقتضى تطوُّر العمران للتعبير عما طرأ من المعاني على الانسانية .

أما معجم هذه اللغة فيجب أن يقسم الى أقسام : الأول منها لا يحتوي أكثر من ألفي كلمة للتعبير عن كل لوازم الحياة العمومية ، مما يكفي للتخاطب والكتابة في الجرائد والكتب العمومية والتاريخية والقصص الخ . وقاموس آخر يحتوي الكلمات العلمية والفنية في الكيمياء والتشريح وسائر فروع الطب ، وقاموس يحتوي أسماء النباتات والحيوانات ، وآخر يحتوي أسماء الآدوات الميكانيكية واصطلاحات هذا الفن . الى غير ذلك من القواميس الاختصاصية .

وهذه القواميس لا يلجأ إليها إلاّ ذوو الفنون . وقلما تلزم للجميع من خاصة وعامة

بقي أمر آخر وهو الأهم وأعني اتخاذ الوسائل الفعالة لنشر اللغة العالمية . ثم اقناع هيئة الأمم بفرضها على جميع الجامعات والكليات والمدارس لتعليمها . ثم وضع قانون لاستعمالها . وعند ذلك تنتشر بسهولة كلية ولا تمضي بضع سنين حتى تصير لغة العالم، وتحت تشعر الأمم أنها سهلت المعاملات بينها .

عند ذلك تشعر الأمم أن اتحادها في أمة واحدة تحت سلطة حكومة واحدة عليا قد جاء وقته ، وتتنفس الشعوب من تحت كابوس الحرب . عند ذلك تشعر الأمم أيضاً بابتداء عصر السعادة والهناءة — حقاً ذلك العصر

هذا المشروع يقتضي دعاية قوية من كل ناحية . ومن يقوم بهذه الدعاية غير الأمم أنفسها في المجتمعات والأندية والجمعيات والنقابات والمدارس والكليات حتى في المعابد والأندية السياسية . فهلمّ يا ناس الى العمل لهذا المشروع الجليل .